المدارس العديدة يُرَدّ فيها على الصُمّ السمع وعلى العمي النظر وعلى البكم النطق واختطاف البروق من سمآئها واستخدامها رسلاً بين امة وامة ومملكة ومملكة في جميع انحآء المسكونة وهداية الناس الى مرضاة الخالق واتباع ما يأمر بهِ من الاتفاق والوئام والمحبة والسلام ونشر الوية الوحدة والاخآء مسطراً عليها بيد الرحمن ابوية الله واخوية الانسان لا يجدر بهذه النفس التي بذلت وسعها لاطالة حياة الانسان متمتعاً بجميع انواع الراحة والرفاهية ان تسلم بتضحيتهِ على مذابح الطمع والفخر الباطل بل تذود عنها وتبالغ في صيانتها حتى تنال الفوز والنصر

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما قبل)

لا يخفى ان الخالق ابدع الكائنات ورتبها على احسن تقويم اذ صنع كل شيء بعدد ووزن وقياس شأن الصانع الحكيم ولا يُعقل انهُ تعالى قصر في ترتيب ذلك او تركهُ للزمان يفعل بهِ ما اراد او يكمل خلقهُ عنهُ ولكنهُ هو الذي اتم نظامهُ واحكم قوامهُ اذ جمع بين الافراد بصلةٍ جنسية ينضم اليها انواع كثيرة او صلةٍ نوعية ينضم اليها افراد كثيرة تمتاز عن باقي الانواع بصفات لا يشترك فيها غير افراد ذلك النوع بحيث تكون حدًّا فاصلاً بين نوع ونوع يمنع الاشتراك بغير الصلة الجنسية العامة وتجعل بينهما بعداً شاسعاً بحيث لا يقدر ان يتصل المتقدم منها بالمتأخر . ولا تخلو الكائنات في حالة

التركيب من ان تكون اما جوهراً ثابتاً او عرضاً لاحقاً بهِ ولا بد فيها من كم وكيف وزمان ومكان وفعل وانفعال ونسبة اضافية بين كل فرد منها وآخر . وهي اسباب كلية داخلة في تكوين الكائنات يدركها الانسان بالبديهة ويعرفها قبل ان يعرف اللفظ الموضوع لها وكذلك يعرف الفرق بين العلة والمعلول والكل والجزء والخير والشر والنفع والضر الى غير ذلك والعلاقة اللازمة بين كلٍّ منها وضدهِ ويصوغ منها احكاماً كلية يعبر عنها حالما يقف على الالفاظ الموضوعة لها . وهذه المبادئ الكلية وغيرها هي ركن معارف الانسان الاولية وعليها مدار عقلهِ وهي قياس برهانهِ ودليل بحثهِ والعامل الاول في كل افعالهِ

ولما كان مفهوم الكلي صورة فكرية مطلقة كما تقدم كانت كل الصور العقلية كلية وان لم يكن لها في الخارج سوى فرد لان هذه الصورة العقلية تتناول كل الافراد المشاكلة لهُ فان مفهوم الانسان مثلاً هو حقيقتهُ المطلقة التي يشترك فيها افرادهُ لا كونهُ هذا الرجل المعين

ومعلوم ان الاعيان الخارجة جزئية مركبة ولذلك لا ندركها الا بطريق الحواس اولاً ولا بد ان يكون فينا قوة مفكرة عقلية غير الحواس تتصرف في هذه الاعيان المفردة وتجعلها مطلقة كلية بحيث يصير المحسوس الجزئي معقولاً كلياً وهذه القوة المتصرفة يقال لها عقل ويسمى فعلها المذكور تجريداً . وهي على ما لا يخفى تختلف عن المبدأ الحساس كما ان فعلها بتجريد المعاني الكلية من الاعيان يختلف كل الاختلاف عن الادراك الحسي كاختلاف الصور الفكرية عن الصور الحسية لا ننا بالصور الحسية الجزئية

لا ندرك سوى الظاهر الذي يؤثر في حواسنا في الحال المناسبة لكلٍّ منها واما بالصور الفكرية فندرك الحواص الذاتية المقومة اي اننا نعرف الاشيآء بعللها اذ نعلم الحال التي كانت عليها وما تكون عليهِ والغاية التي تصير اليها والعامل فيها وغير ذلك . فاننا مثلاً ندرك بالعقل ماهية البيت المطلقة كيفما كان شكلهُ وموقعهُ قبل ان يتم بنآؤهُ وبعد ان تذهب بهِ الايام واما بالحواس فلا يتم لنا ادراكهُ الا ان نراهُ رأي العين بشكلهِ من طولهِ وعرضهِ وعلوهِ وموقعهِ وغير ذلك مما لهُ من الظواهر التي تؤثر في حواسنا . وقصارى الكلام ان ادراك الكليات الاولية والثانوية المكتسبة بالتجريد خاصٌّ بالانسان متعذر طبعاً على غيرهِ من الحيوان لسببين الاول كون المبدأ الحساس او نفس البهيمة جوهراً غير تام يحتاج في قيامهِ وافعالهِ الى جسمٍ ليتحد بهِ ويشاركهُ في اعمالهِ فلا يخرج عن ادراك الحسيات اذ ليس بوسعهِ ان يستغني عن الحواس ولا تستطيع البهيمة ان تتجاوز الجزئيات التي هي الحد الذي تقف عندهُ قواها الحساسة والا لما كانت دائرة ادراكها محصورة الى الآن في الجزئيات . والثاني كون افعالها ترجع كلها بالاستقرآء الى المبدأ الحساس ولا تدل على شيءٍ من التعقل او ادراك الكليات كما تقدم

***

معلوم ان لكل موجود غاية يصير اليها وهي الغرض الذي يسعى اليهِ بقواهُ وافعالهِ حتى يصل اليهِ فيقف عندهُ ومتى بلغ غايتهُ تمت افعالهُ . ومعلوم ان الحيوان عامل بالذات متحرك طبعاً لا يحتاج الى محرك خارج او عامل اجنبي يدفعهُ الى عملهِ فلا بد ان يكون فيهِ قوة داخلة تحركهُ الى

افعالهِ وهي الارادة . وهذه القوة مختلفة في الانسان عن باقي الحيوان كاختلاف المبدأ العاقل عن المبدأ الحساس اوكاختلاف الكلي المطلق عن الجزئي المفرد . على انهُ قد تقدم ان الانسان يدرك الكليات بعقلهِ والجزئيات بحواسهِ فلا بد ان يكون فيهِ ارادة عقلية تميل بهِ الى طلب الخير الكلي المطلق وارادة حسية تميل بهِ الى طلب الخير الجزئي الظاهر في المركب

ومقرر ان الانسان يكره الشيء او يحبهُ عن رضى خاص واختيار وحرية مطلقة لا سلطان عليهِ في ذلك ويجد في نفسهِ انهُ ربّ افكارهِ واشواقهِ واعمالهِ كلها . فهذه الارادة اي الحرية المطلقة يمتاز بها الانسان وحدهُ عن باقي الحيوان وهي دليل صريح على اختلاف المبدأ العاقل في الانسان عن البهيمة . وبيان ذلك ان فعل الحرية او الاختيار يقتضي لا محالة امرين الاول ان يدرك المبدأ العاقل الخير الكلي المطلق والثاني ان تقصدهُ الارادة وتميل اليهِ اذ لا يُطلب الشيء قبل عرفانهِ . فالعلم بالخير او النفع سابق لرغبة الارادة فيهِ لان الارادة قوة عمياء لا تعقل ولا تدرك بذاتها شيئاً وانما العقل دليلها الى الخير الذي تسعى اليهِ فاذا ظهر لها الخير الكامل تميل اليهِ كل الميل لانهُ غرضها الذي تبتغيهِ والحدّ الذي تقف قواها عندهُ واذا ظهر لها الخير الجزئي لا تميل اليهِ هذا الميل واذا مالت فلا تقصد فيهِ كمال غايتها وانما تتخذهُ سبيلاً واذا لما بعدهُ وواسطة لنيل ما فوقهُ وتبقى حرة في امرهِ وفي وسعها ان تميل الى سواهُ ولذلك نرى الانسان لا يتوقف عن السعي في طلب السعادة جاءتهُ لا يتردد في قبولها واما اذا جاءتهُ حسنة يتردد في قبولها بل يرفضها اذا عرف ان غيرها افضل منها او انها لا ترضيهِ بما فيها على علو نفسهِ وعزتها

ولا شك ان ليس للبهيمة هذه الحرية فيما تريد لانها حالما تدرك خيراً جزئياً تميل اليهِ بكل قواها لانها لا تدرك سوى الجزئيات التي تؤثر ظواهرها في المبدأ الحساس ولذلك تميل اليها طبعاً لانها غايتها في اعمالها والحد الذي تقف عندهُ رغبتها وليس بوسعها ان تتجاوز الى غيرهِ في الطلب ولذلك متى ظهر لها شيءٌ فيهِ نفع لها او ضرر اثر فيها مباشرةً ومالت اليهِ او نفرت منهُ حالاً بكل قواها. فاذا نظرت الشاة الذئب ولو ميتاً نفرت منهُ وفرّت حالاً ولا تصبر على ذلك طرفة عين واذا نظرت السخلة امها اقبلت عليها بكل قواها بلا تردد لانها مدفوعة الى ذلك بالطبع مضطرة اليهِ لا مختارة فلو كان بوسع البهيمة ادراك الخير الكلي لسعت اليهِ ونالتهُ بقواها التي رُكّبت فيها وسبقت الانسان بمراحل وكان اول ما قامت بهِ ان تجتمع انواعها العاقلة وتكون يداً واحدةً على الانسان وتخلع عنها سلطانهُ وتتخلص من ظلمهِ بل لو كان لها عقل لاستفاد منها الانسان وارتفعت منزلتها عندهُ وانما

لولا العقول لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

(ستأتي البقية)

ليلة ١٣ نوفمبر

مضت تلك الليلة الى صباحها ولم يسقط شيءٌ من الشهب كما انهُ لم يُرَ منها في مثل هذا الموعد من السنة الماضية والتي قبلها ما تميز بهِ ليالي هذا الشهر عن سائر ليالي السنة لكن علمنا من المرصد الفلكي هنا انهُ رؤي سقوط شهبٍ قليلة في ليلتي ١٤ و١٥ من هذا الشهر لكن لا بالمقدار الذي